السنة الأولى فنون جذع مشترك

السداسي الثاني

المقياس :لغة عربية

الدكتور : عماري علال

المحاضرة الرابعة:المدارس النحوية

قد كفل الله تعالى حفظ القرآن الكريم من التحريف بقوله تعالى : « **إنا نحن نزلنا الذكر وإن له لحافظون** »، و على مر العصور دأب المسلمون على حفظه والحفاظ على القراءة السليمة ، و على مر العصور دأب المسلمون على حفظه والحفاظ على القراءة السليمة له وبخاصة بعد شيوع اللحن على الألسن بسبب كثرة الموالي الذين وفدوا إلى الأمصار الإسلامية بعد الفتوحات.

1 – مدرسة البصرة :

تعد البصرة أسبق مدن العراق اشتغالا بالنحو ، حيث احتضنت النحو زهاء قرن من الزمان قبل أن تشتغل به الكوفة التي كانت بدورها أسبق من بغداد ، فالبصرة هي التي شادت صرح النحو و رفعت أركانه بينما كانت الكوفة مشغولة بقراءات الذكر الحكيم ورواية الشعر والأخبار1 و كان القدماء يعرفون ذلك فتصوا عليه بعبارات مختلفة ومن ذلك قول ابن سلام : " و كان لأهل البصرة في العربية قدمة ، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية ". 2

و من هنا ، يمكن إيجاز أسباب أسبقية البصرة على غيرها من مدن العراق الاشتغال بالنحو فيما يلي :

- موقعها الجغرافي فإنها على طريق البادية مما يلي العراق وأدنى المدن إلى العرب الأقحاح الذين لم تلوث لغتهم بعامية الأمصار .
- كان على قرب منها (المربد) الذي اتخذه العرب سوقا وصار في الإسلام صورة معدلة لعكاظ في الجاهلية .
- أن العرب النازحين إليها من القبائل العريقة في اللغة وأكثرهم من قيس وتميم.3

فالبصرة كانت مهد النحو ، بها ظهر وعلى أيدي رجالها ذاع وانتشر ، وعنهم تلقاه أبناء العربية، همهم اكتساب أداة تمكنهم من فهم القرآن الكريم ، أول من فكر في وضع قواعد النحو هم البصريون وهذا بإجماع القدماء والمحدثين ، فأبو الأسود كان بصريا والروايات تنبئ على انه أخذ عنه نفر من التلاميذ ، فنذكر أبرزهم :

1- ينظر ، شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، ج1 ، ص 17 .

2 ابراهيم السامرائي ، المدارس النحوية ، ص 23.

3 ينظر ، المرجع نفسه ، ص 25 .

الطبقة الأولى : (عبد الرحمن بن هرمز) : يقول عنه الزبيدي : " أول من وضع العربية وأعلم الناس بها " 1، .. ثم يأتي بعده (نصر بن عاصم) يروي أنه كان يسند إلى أبي الأسود في القرآن والنحو ... ثم يأتي (عنبسة بن معدان) المعروف ب(الفيل) ، يروي أنه أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي . ثم (ميمون الأقرن) ، أخذ النحو عن أبي الأسود وأيضا عن عنبسة بن معدان ثم يأتي بعده (يحي بن يعمر) يقول الزبيدي عن يحي بن يعمر : " إنه أخذ النحو عن أبي الأسود ، وأنه كان فصيحا عالما بالغريب ، ومن القراء ، وقال عنه خالد الحذاء : كان لابن سيرين مصحف منقوط نقطه يحي بن يعمر "2.

الطبقة الثانية : فمن أعلام هذه الطبقة (عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي و عيسى بن عمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء وأبو الخطاب الأخفش ، فبررت هذه الطبقة في النحو وقراءة القرآن وفنون الأدب وكان ابن أبي إسحاق الحضرمي أول من بعج النحو ومد القياس و العلل 3، ثم جاء عيسى بن عمرو الثقفي ، فقد كان ثقة عالما بالنحو والقراءة ، وكان فصيح اللسان وألف في النحو كتابين هما :" الجامع " و الإكمال ، وجاء بعده (أبو عمرو بن العلاء) الذي كان نابغة زمانه ، فهو لم يقتصر على النحو فحسب بل انكب على جمع اللغة والأخبار والأشعار ، وقد كان طريقا للعلم بأهل زمانه فأقبل عليه الطلاب من كل فج " .

---

1 الزبيدي ، طبقات النحويين و اللغويين ، ص 26 .

2 ينظر ، المرجع نفسه ، ص 27 .

3 المرجع نفسه ، ص 39 .

الطبقة الثالثة : و قد نبغ من علماء الطبقة الثالثة من المدرسة البصرية : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي قام باستخراج مسائل النحو و تصحيح قياسه ، و ترك تدوينها إلى تلميذه سيبويه الذي جمعها في كتاب بعد أن تلقاها عنه و تعلمها عليه ثم نحا مذهب سيبويه أمثال يونس بن حبيب و غيرهم. 3

* خصائص المنهج البصري :

- كان البصريون يتمسكون بمبدأ الكثرة ولا يحيزون القياس إلا على الأكثر المشهور .
- كان البصريون يعتمدون على السماع الوارد عن العرب الفصحاء ، وكانوا يتشددون – أهل البصرة– في فصاحة العربي الذي تؤخذ عنه اللغة ، فكانوا يأخذونها من أهل البدو.
- كانوا لا يطمئنون إلى كل رواية ترد عن العرب الجاهلية إلا بعد تدقيق وتمحيص فوضعوا مقاييس لتصحيح هذه الروايات الواردة عن العرب. 4

2– مدرسة الكوفة :

نشأت مدرسة الكوفة بعد البصرة ، ومؤسس هذه المدرسة أبو جعفر الرؤاسي الذي أخذ النحو عن عيسى بن عمرو ، وعن أبي عمرو بن العلاء ، ومن أعلام هذه المدرسة أيضا الكسائي الذي كان شيخ القراء في الكوفة ، إلى جانب الفراء وثعلب ، وهذا الأخير من أهم مصنفاته "مجالس ثعلب" وأيضا ابن السكيب صاحب كتاب "إصلاح المنطق" ، فهؤلاء العلماء يمثلون أهم أعلام مدرسة الكوفة

---

1 ينظر ، الزبيدي ، طبقات النحويين و اللغويين ، ص 35 .

2 ينظر ، التواتي بن التواتي ، المدارس النحوية، دار الوعي للنشر و التوزيع ، الجزائر ، دط ، دت ، ص 33.

3 ينظر ، المرجع نفسه ، ص 34 .

4 ينظر ، المرجع نفسه ، ص 76.

* خصائص المنهج الكوفي : فهذا المنهج أيضا يقوم على مجموعة من النقاط الأساسية و المتمثلة فيما يلي :

- اعتمادهم في السماع على القليل النادر وجعلهم من هذا القليل النادر أصلا يقاس عليه .
- التوسع في قبول القراءات القرآنية بسبب توسعهم في أصول اللغة ، فكانوا يأخذون بكل القراءات سواء كانت شاذة أو غيرها.
- عدم الالتفات إلى قوانين المنطق والأقيسة العقلية ، وتوسعوا في الرواية ، فكما قيل أن أهل البصرة أصحاب علم وفلسفة أما أهل الكوفة فأصحاب فقه وحديث وقراءة .
- أن الكوفيين توسعوا في القياس لأنهم لم يرتبطوا بكثرة الشواهد للقضية الواحدة ، وإنما يضعون القاعدة على المثال الواحد أو بيت من الشعر الواحد.1

و خلاصة القول إن الكوفيين كانوا أكثر جرأة في موقفهم وأكثر حرية في منهجهم ، في حين كان البصريون متحفظين وأن منهجهم فيه ميل شديد إلى التقعيد ، كان أقرب إلى طريقة التعليم ومذهب المعلمين المقننين في حين أن منهج الكوفيين بكونه أقرب و أوقع إلى فهم طبيعة اللغة، كان بذلك مذهب العلماء الحافظين .

3- <u>مدرسة بغداد :</u> هذه المدرسة نشأت متأخرة ، فقد ظهرت في بغداد في القرن الرابع للهجرة ، متأخرة عن المدرستين البصرية والكوفية ، هذه المدرسة نشأت في ضوء التقارب بين منهج مدرستي البصرة والكوفة ، أي أن أصحاب هذه المدرسة أرادوا أن يجمعوا ويقاربوا بين منهج المدرستين ، هذه المدرسة

1- ينظر ، التواتي بن التواتي ، المدارس النحوية ، ص 93 .

نشأت في بغداد وساعد على نشأتها موضعها (بغداد) فهي كانت مقصد الكوفيين والبصريين جميعا ، وكانت بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية وموطن الأعمال فيها ، لذلك وجدنا أن المذهب البغدادي النحوي في حقيقة أمره هو مذهب انتخابي (أي أنه مذهب منتخب من مدرسة البصرة والكوفة) .

فهذا المنهج جمع الخصائص المنهجية للمدرستين (البصرية و الكوفية). ومن أعلام هذه المدرسة :

ابن كيسان ، ابن السراج ، و الزجاج ، ابن شقير ، ابن الخياط ، أبو علي الفارسي ، ابن جني ... و غيرهما1.

فهذا الجيل تعمق في منهج المدرستين، واستطاعوا النفوذ إلى كثير من الآراء الجديدة، إلا أن علماء هذه المدرسة كان معظمهم يميلون إلى الآراء الكوفية و بعض منهم يميل إلى الآراء البصرية ، وما بعد هذه المدارس النحوية ، هناك ظهر أيضا نحاة متأخرون ،فعجلة البحث اللغوي لم تتوقف عن هذه المدارس سواء في شتى الأقطار بل هناك أيضا علماء متأخرون جاؤوا بعد هذه المدارس وكانت لهم آراؤهم ومذاهبهم وأمثال هؤلاء ،ما وجدنا عند الزمخشري الذي قام بشرح كتابه ابن يعيش ، وابن الحاجب ، وابن هشام وغيرهم.

---

1 ينظر ، إبراهيم عبود السامرائي ، المدارس النحوية ، ص 123 .